٤ــ نموذج آخر من تراجم الشعراء :

الشيخ حسين العشاري

Cheïkh Huseïn 'Uchary.

تتمة

وله من قصيدة في الامام علي حينما زار قبره سنة ١١٨٥ وذكر المنازل التي قطعها من بغداد الى النجف :

اليــك توجهنا فلاحت لنا البشرى ... وتمت لنا الدنيــا بجاهك والاخرى !
حبسنــا على حر الهجير نفوسنــا ... لانا علمنا ان سنوردهــا بحرا !
ولم نصحب المسك الفتيت لعلمنا ... بكون ثراكم فوق اردانا عطرا !
ولم نحمــل الدينــار علمــا باننا ... سنلقط من حصباء ارضكم تبرا !
وما قصــدنا إلا الحضور بحضرة ... على عرش بلقيس سما فضلها قــدرا
ورؤية قبر قــد تضمن سيدا ... هو البحر سمته العباد لنــا حبرا
محــل حوى علما وجودا وسؤددا ... الى منتهى الدنيا تدوم له الذكرى
كريم نجار من لؤي بن غالب ... وصفوة عدنان ومن مضر الحمرا
ولمــا قصدناه تركنا عيالنــا ... واولادنا الاطفال والبــلدة الزورا
الى ان نزلنا (الخــان) اول منزل ... ونمنا وصلينــا بساحتــه الظهرا
ومن قبل عصر قد شدونا رحالنا ... وجئنا (لبئر النصف) والركب قد سرا
ومن بعد ذا جئنا الى (الخان) بعده ... وبتنا به والنوم عن مقلتي فرا
ولما بدا الصبــح المنير واقبلت ... كتائبــه تسعى بزأيتــه الشقرا
نهضنا وروينا جميــع دوابنا ... بلطف وصلينــا بجانبــه الفجرا
وسرنا الى (خان المحاويل) والهوى ... لجنب ابي السبطــين يقدمنا شهرا
اقمنــا به حتى اتى العصر فانثنت ... الى (الحلة الفيحاء) رواحلنا تترى
نزلنا على قوم كرام بهــا نشوا ... على الجود والاضياف في دورهم تقرى
ومن بعد ذا سرنا صباحا وعندنا ... من الشوق ما يستوعب السهل والوعرا !
ولما اتينا قبر (ذي الكفل) وانجلت ... لنا عن طريق القصد باقصة غبرا

نظرت تجاه السائرين اشعة تبين وتستخفي لنا تارة اخرى
فزحزحت عن عيني الكرى ونظرت عن نواظر عن صنعا تلوح لها بصرى
وقلت: أتلك الشمس ارخت ثيابها والقت عليها من اشعتها سترا ؟
ام انتشرت نار الكليم لناظري على طور سينا والفؤاد بها ادرى ؟
ام البرق في تلك الغراص تلألأت لوامعه حتى ابان لنا فجرا ؟
فراجعت خضر القلب عن درك ما ارى يبين لعيني حكي احيط به خبرا
فقال : اذا اخبرتك اليوم سره وانت كليم القلب لم تستطع صبرا
فقلت : ولو اخبرتني لوجدتني صبورا ولا اعصي لما قلته امرا
فقال : هو القصر المنيف الذي علت على القبة الخضراء قبته اصفرا !
هو المرقد السامي الشريف الذي حوى محيا ابي السبطين والغرة الغرا
فالق العصا في نابه وانخ به قلوصك وانزل عند همته الكبرى !
فهاجت بنا نار الغرام وقيدت دموع تضلي نارها مهجتي حرا
وما ثم إلا انفس وجوانح تطير وانعام طوت دونه البرا
الى ان اتت (خان العقيل) خيولنا وبتنا بقرب البئر نستوجب البرا
ولما رأينا الفجر سرنا بسرعة الى بلدة ضمت بها الحيدر الطهرا

وقال من قصيدة يذكر بها مصاب بغداد بالوباء ويحن الى سالف ايامها الغر :

ابيت ولي وجد حرارته تعلو ودمع له في عارضي عارض وبل
واطوي على جمر واغضي على قذى واشغل اعضائي وقلبي له شغل
اذا الليل وافى ضقت ذرعا الى الحمى وناضت شؤون ليس يعقلها عقل
حداني الى الزوراء شوق مبرح وما ذا الذي حدثت عن حالها سهل
اذا ما نبت دار السلام بلهلها فلا جبل يؤوي الكرام ولا سهل
وان كسفت شمس البلاد وبدرها فليس لنا في نجمها منزل يعلو
وان قلص الظل الذي في جنابها فاين من الزهراء في غيرها ظل ؟
وان غصب الماء النمير بارضها فلي شراب في سواها لنا يحلو ؟
مصاب عراها لا اصيبت باهلها فانهم للمكرمات بها اهل
ديار بها نيطت علي تمائمي قديما ولي فيها نما الفرع والاصل

بها سكني في ربعها الخصب ناقتي ... بها جملي يرغو بها قيمتي تغلو
الا ليت شعري هل اراني بربعها ... مقيما ؟ وبالاحباب يجتمع الشمل
وهل التقي بالاهل من بعد فرقة ؟ ... فلي عندها في كل ناحية اهل
وهل روضها يخضر بعد ذبوله ... ويهمي على اوراقه الويل والطل ؟
وهل ظبيات الكرخ يخرجن شرعا ... ودون حماهن الاسنة والنصل ؟
وهل اسمع الداعي وقد حلق الدجى ... يؤذن والتالي بأوراده يتلو ؟
وهل انا في يوم العروبة قاصد ... لحضرة محيي الدين دام له الفضل ؟
وهل تنثني تلك المعالم والربا ... وفوق ذراها العز والكرم الجزل
وهل علماء الجانبين تضمهم ... مجالس علم لا يخامرها الجهل
وهل وزراء العدل تمضي امورهم ... على منهج ما عن محجته عدل
وهل خرجوا للعيد بين كتائب ... منار العلى في ظلها ابدا يعلو
سلام على دار السلام واهلها ... فهم في فؤادي دائما اينما حلوا
فو الله لا اسلو هواها ومثلها ... اذا كان قلبي عندها فمتى اسلو ؟
احبتنا بالكرخ هل من رسالة ؟ ... (فقد تعبت بيني وبينكم الرسل)
لعل احاديث العواذل تنثني ... (برجم ظنون بيننا ما له اصل)
الا همة تزجي رواحل عزمتي ... (لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل) ؟
حلولي بناديكم وموتي بأرضكم ... (ارى ابدا عندي مرارته تحلو)
ارى البعد في الضراء عنكم كبيرة ... (فما اختاره بعضي به وله عقل)
وكم فتية فروا من الموت ضلة ... (وما ظعنوا في السير عنه ولا كلوا)
أمن قدر الرحمن يجدي فرارهم ... (فاوله سقم وآخره قتل)
فقل لمقيم صابر فزت بالعلى ... (والمدعي هيهات ما الكحل الكحل)
يهون علينا ما لقيتم من الاذى ... ولكن عقد الله ليس له حل
فيارب باسم الذات والحكمة التي ... بها تظهر الاشياء والعدم الاصل
بنور جمال اشرق الكون عنده ... وعز جلال دونه احجم العقل

الى ان يقول :

تول انتما دار السلام واهلها ... بلطفك وارحمهم فقد ثقل الحمل

وعاملهم بالعفو وارحم شيوخهم ... واطفالهم فالشيخ قد آب والطفل
وباء وطاعون وما ثم ملجأ ... سواك وانت الراحم الحكم العدل
ويا غارة الله اسرعي لخلاصهم ... من القهر فالرحمن من شأنه الفضل
ويا غارة الله اجعلي كل واحد ... بحصنك قد غار العدو وهم عزل
ويا غارة الله انصريهم وبددي ... جموع العدى عنهم فقمت العدى سهل
الا فاستجب واسمع ندائي فانني ... دعوتك والاجفان في سحها هطل
وقابل سؤالي بالاجابة سيدي ... فما خابت الشكوى لديك ولا السؤل

نثره

قال يصف زمانه وخلانه في بغداد:

« ... مع اني في زمان تبا له وتب ، ما احقه بان يدعى ابا لهب ، قد اصلى اهله بنار ذلت لهيبها قديم كل ركيك ضعيف ، ورأس كل دني سخيف . واذل كل سري شريف ، فاهمل حروفه وسلك بها مسالك التحريف . وشدد مخففه وجنح به الى التضعيف . القاه بين مصائب ، كانها كتائب . وانزله في حفر ، كلودية سقر ، والى الله المشتكى من زمان اذا امر بنائبة حرض ، واذا نظر الى كريم اعرض . وان جرح وقف ، وان قتل اسرف . ينظر الي شزرا ، ويتفق علي تزرا . ويرهقني من امري عسرا . في فتية مردة . كانهم خنازير او قردة . قلوبهم طاغية . وايديهم باغية . والسنتهم لاغية . وطباعهم ردية . واصولهم باهلية . وانفسهم دنية . وسجاياهم تارونية . وما (مادر) إلا طليعة لاخلاقهم . ولا (اشعب) إلا انموذج لمذاقهم . في جماعة كبيرها صغير . وزئيسها حقير . ودنيها امير . وشريفها اسير . ولولا عيال تشب عليهم الغيرة وثوب الشرر . وتنهمل الحمية دونهم انهمال المطر ، واطفال كافراخ القطا تقصر عنهم الخطا . لزودت الشيح والقيصوم ، وتمشت البصل والقوم . وفررت عنها فرار الثيور عن مواطن الزور . وامتثلت بقول القائل :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الاذلان عير الحي والوتد

ولعملت بقول الاخر :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ ... ـعذيب يوما ويوما بالخليصاء

واتخذت عنها بدلا . وتعوضت عن منازلهم منزلا . وقلت لنفسي فاسلكي سبل ربك يخرج لك ذللا . ولله قول الطغرائي :

فيم الاقامة في الزوراء لاسكني فيها ولا ناقتي ترغو ولا جملي

وانى لي بالشخوص عن مزورة الاحداق . سيئة الاخلاق . مرة المذاق . العراق وما ادراك ما العراق . اهلها اهل نفاق وشقاق

ما المجد بالكرخ مقيما ولا طوق العلى في جيد بغداد

وهي حرية بما ذكره الغزالي رحمه الله تعالى في باب المحنة من الاحياء . اتفاق جماعة من العلماء على ذمها وكراهة سكناها . واستحباب طلب الفرار منها »

محمد بهجة الاثري

(ترجمة البيتوشي)

Beitouchy.

شيخنا العلامة عبدالله بن محمد الكردي الالاني الخانقي حصل العلم عن اجل علماء بابان (اي السليمانية) منهم الامام ابن الحاج ، ورحل الى بغداد ثم منها الى البحرين فنظم ايام محاصرة صادق خان تراجم الزواجر ، قال ابن سند فقرأت عليه المنطق والالفية وشرح السعد وشرح الشافية وشرح سقط الزند وشرح الفاكهي في النحو وشرح حسامكاتي في المنطق ورواية حفص عن عاصم في القراءة وقد نظم متن الكافي في العروض والقوافي ثم شرحه شرحا ممزوجا بالاصل وهذا الكتاب ايضا موجود . ثم انه خرج من الاحساء وتوطن البصرة وله بعض التصانيف كمنظومته في النحو المشهورة. واثنى عليه شيخنا محمد اسعد ثناء جميلا. قال وتوفي شيخنا سنة ١٢١٠ ثم ان محمد اسعد رحل الى بغداد فقرأ عليه داود باشا المطول للسعد في علم البلاغة وهو كتاب مهم وقد رفع قدر الشيخ محمد اسعد بسبب ذلك وافاض عليه سيبا كثيرا. انتهى ملخصا من كتاب الاثار المسجدية في المآثر الخالدية لابن سند وهو من الكتب الخطية في احدى الخزائن .

كاتب